## شهداء الفضيله

### سيرة شيخ شهداء المقاومة الإسلامية الشهيد راغب حرب

**مولده**

ولد الشهيد الشيخ راغب حرب، عام ١٥٩٢ للميلاد، من أبوين كادحين، تميّزالأبوان بتمسك قويّ بمبادئ الدين الحنيف، والتزام أصيل بتعاليمه السمحاء.. ترعرع ونما في كنف هذه الأسرة الطيبة، فتنسم في أجوائها عطر الرسالة، وتنشق عبير الإيمان، فنبتت في أعماقه أروع الخصال وأجمل السجايا". في السابعة من عمره، دخل المدرسة الرسمية في بلدته جبشيت، ليتلقى فيها علومه الأولى، ثم توجه بعدها إلى منطقة النبطية لمتابعة المرحلة التعليمية المتوسطة. في أوائل العام ١٩٦٩ غادر الشيخ بلدته إلى بيروت، ليكمل الدراسة التي أحب بين العماء والمؤمنين.

**في النجف الأشرف**

سافر الشيخ الى النجف وعاش في مدارسها، لينهل من معينها، ويرتشف من ينابيعها العذبة، ويتتلمذ على أيدي أساتذتها الكبار، مهيئاً نفسه للعمل في خدمة الرسالة، مبلّغاً أحكامها، ناشراً تعاليمها، وهو مع إقباله الكبير لتلقي العلوم الدينية وميله نحوها، إلاّ أن عينيه كانتا ترمقان من بعيد الساحة اللبنانية، ومستقبل العمل الإسلامي فيها، فيتصل من هناك بإخوانه المؤمنين مستكشفاً أوضاعهم، ومطلعاً على ما يعانونه من شؤون العمل الإسلامي وشجونه..

عاد الشيخ إلى لبنان لزيارة أهله وأصحابه، ثم قفل راجعاً إلى النجف ليتابع علومه، إلاّ أنه في هذه المرة، لم يلبث سوى سنة ونصف، حتى عاد عام ١٩٧٤ بعد أن أسفر النظام في العراق عن حقد دفين على المؤمنين والعلماء فطاردهم وشرّدهم وزج عدداً كبيراً منهم في السجون..

**العودة إلى جبشيت**

عاد إلى مسقط رأسه في جبشيت، في وقت كانت فيه طروحات اليسار، وشعاراته ومفاهيمه تغزو المنطقة بأسرها، وتتسلل لتدخل إلى قلوب الناس في محاولة لاستقطابها، عاد والإسلام بكل مفاهيمه في غربة عن أذهان الناس وعقولهم، اللهم إلا فئة قليلة مؤمنة، كانت تعي دورها، وتحمل قضايا الإسلام في قلبها وفكرها، لتقدمه كحل ناجع لإصلاح الأمة وبناء المجتمع..

عمل الشيخ الشهيد بشتى الوسائل ليجمع حوله أهالي بلدته ليبث فيهم روح الايمان والجهاد والمقاومة وهذا ما كان.. وبعد أن أطمأنّ إلى الصحوة التي أنشأها في بلدته، أراد أن يتجاوز بعمله حدود قريته الصغيرة، ليشمل ما جاورها من قرى المنطقة، فراح يوطد العلاقة مع أبنائها، ويلتقي مع المؤمنين فيها، ليشاركهم فيما يحملون من هموم العمل وشؤونه، ولينشئ بالتعاون معهم وجوداً إسلامياً، يقدر على الوقوف بوجه التحديات التي تواجهه، والأخطار المحدقة به.

**صلاة الجمعة**

وإيماناً منه بتأسيس وجود إسلامي قادر وقوي، وإنشاء جيل إسلامي واع ومتجانس، فقد بادر الشيخ إلى إقامة صلاة الجمعة، ولم يكن الشيخ ليكتفي بالعمل التبليغي وحسب، ، بل عمل بشكل دؤوب مع الناس فعاش معهم ودخل إلى عمق مأساتهم، وراح يعالج مشاكلهم، ويكابد معهم، فيعاني ما يعانون، ويألم لما يألمون..

**نشاطه الاجتماعي والرعائي**

لعلّ أبرز المشاريع الاجتماعية التي أسسها الشيخ الشهيد كانت:

أولاً: بيت مال المسلمين
ثانياً: بناء مدرسة الشرقية
ثالثاً: مؤسسة شهيد الثورة الإسلامية
رابعاً: ترميم مسجد شيت في جبشيت

**إطلالة الثورة الإسلامية المباركة**

مع حلول عام ١٩٧٨، كانت رياح الثورة الإسلامية المباركة في ايران تتخطى كل الحدود، وتتجاوز العوائق والموانع، وهنا ـ في غمرة الانصار الكبير ـ هبّ الشيخ راغب، ليكون أول المستجيبين لندائها، المسارعين إليها، والفرحين أشدّ الفرح بإنجازها التاريخي الرائع، كيف لا؟ وقد تحقق أمام عينيه أمل طالما كان ينبض مع كل خفقة من خفقات قلبه، وحلم كان يختلج مع كل جارحة من جوارحه، فوقف على منبر بلدته جبشيت.

**مداهمة منزله**

وكما كان متوقّعاً، فقد داهم الجنود الصهاينة المدججون بالسلاح منزله مرات عديدة ومتتالية، كان أبرزها في كانون أوّل عام ١٩٨٢م، الموافق ٢٧ صفر ١٤٠٣هـ إلاّ أنهم لم يجدوا أي أثر له، وللتعويض عن فشلهم في اعتقاله، فقد صادروا من منزله سلاح الصيد الذي ورثه عن والده، وكانوا في كل مرّة يداهمون فيها منزله، يلجأون إلى أساليب رعناء، ويلقون الذعر في قلوب أطفال المبرّة الصغار الذين آواهم الشيخ في منزله، لعدم اكتمال بناء مبرّة السيدة زينب. الاعتقال الذي ألهب شرارة الرفض والمواجهة.. لم يكن العدو ليغفل عن تحركات الشيخ أو نشاطاته، فبثّ العيون والجواسيس، لتلاحقه وتترصده، حتى استطاعوا في نهاية الأمر تحديد المكان الذي يبيت فيه..

**الاغتيال الآثم..**

ففي السادس عشر من شهر شباط، وفي ليلة الجمعة من عام ١٩٨٤ وأثناء خروجه من بيت بجوار منزله، صوّب العملاء المرتزقة والمأجورون، بيدهم المرتجفة رصاص حقدهم الغادر، وهوى الفارس عن صهوة جواده، ليروي بدمه الطاهر عطش الأرض.

المصدر: www.alzaakiyaa.com

## المقال

# تكوين حوزة العلمية في كربلاء

ان أرض كربلاء بعدما اصبحت مسرحا لواقعة تاريخية دموية، أفجعت قلوب المسلمين، وبثت الحزن والأسى واللوعة في نفوسهم، وبعدما حوت لقبر أعز شهيد، وأكرم ثائر، وأشجع حرابي، هو سبط رسول الله محمد ﷺ ألإمام الحسين بن علي عليه السلام شهدت النماء والعمران والإزدهار في وقت مبكر جدا، لما إكتسبت من قدسية متزايدة وروحانية متسامية، حتى أصبحت في فترة قياسية موئلا وملاذا لكل صاحب عقيدة وكل داعية حق وحقيقة.

لقد اضحت كربلاء تجسيدا لكل معاني السماء وقيم الدين ومفاهيم الدفاع المستميت عن شرعة النبي ألأعظم ﷺ فكان طبيعيا أن تصبح بالتدريج محط رحال علماء الدين والفضيلة، وأن تتحول إلى مسرح يحوي كل ذي علم وادب وإبداع فكري، وكل صاحب إيمان حقيقي.

وفي الحقيقة أن البيئة التي يدرس فيها العالم والمحقق والباحث أو الشاعر وألأديب لها تأثيرها المباشر على سير تحصيله وجهده الفكري، فألأجواء والظروف السائدة في هذه البيئة، تخلق له من الحوافز والدوافع ما تساعده وتسهل له الدراسة والبحث والتفكير. ذلك أن أجواء البيئة التي يدرس فيها المرء بما ينسجم مع العلم الذي يتلقاه توحي له بكل ما يرتبط بهذا العلم، وتشجعه على دراسته مثلما تسهل له أمر التدريس والتحقيق ، فالبيئة لها تأثيراتها التلقائية في نفس ألإنسان.

ومن هنا نجد ظاهرة إنتشار الحوزات العلمية الدينية في المدن المقدسة مثل النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وقم ومشهد أن حوزات هذه المدن بقيت محتفظة بإستمراريتها وديمومتها، وذلك بالرغم من أنها مرت بفترات فتور، لكنها ظلت متمسكة بهويتها وخصوصياتها على مر التاريخ، صحيح أن حوزات أخرى ظهرت في مدن تفتقد لقدسية المدن الآنفة الذكر غير أنها كانت حوزات وقتية لم تدم طويلا مثل حوزة حلب في سوريا أو مثل الحوزة العلمية في مدينة الحلة أو مثل حوزة أصفهان. لكن هذه الحوزات إما إندثرت وإما إنحسرت وإنكمشت على نفسها، نظرا لأن كيانها إرتبط بشخصيات علماء عظام برزوا في صدفهم، فكانت حلقات دروسهم وأبحاثهم وتقريراتهم تستلفت الأنظار، فتجذب النفوس إليها، ولكن ما ان رحلوا وتوفوا حتى فقدت الحوزة التي أقاموها أهميتها رويدا رويدا فإندثرت وإنمحت.

من كل ذلك، نتوصل إلى نتيجة أن الحوزات العلمية الدينية تنشط وتستمر وتزدهر وتتطور في الأماكن الدينية المقدسة أكثر بكثير جدا من الأماكن العادية، ففي الأماكن الدينية المقدسة جاذب وحافز لا يوجدان في خلافها، وإن من أكثر الأماكن قدسية وتبركا لدى الشيعة ، هي أرض كربلاء ومدينة الحسين المشرفة.

لقد اخذت مدينة كربلاء، بعدما إنحسرت عنها إجراءات الردع والقمع والأعمال القسرية والزجرية التي كان يواجهها جموع زوار قبر الحسين عليه السلام، على يد زبانية الخلفاء الأمويين والعباسيين، تعج بالعلماء والفقهاء، وذلك مذ أواخر القرن الثالث الهجري، حينما بدأت أعداد كبيرة من العلويين تفد إلى كربلاء للسكنى بجوار قبر الحسين عليه السلام، ثم تضاعفت نسبة الوافدين من السادة العلويين وخاصة من ذرية الإمام موسى الكاظم عليه السلام، المعروفين بالسادة الموسويين، في عهد الدولة البويهية، مثلما رحل إليها طلاب العلم والفضيلة من الأقطار والمدن القريبة والنائية، فنشطت في ارجاءها الحركة العلمية وباتت حلقات الدرس والبحث تقعد في جنبات صحن الروضة الحسينية الشريفة، وفي بيوت الشعر والأكواخ التي كانت تحيط حول الروضة الشريفة، وذلك نظرا لأن أرض كربلاء لم تتخذ شكل مدينة متكاملة متمصرة بمعنى الكلمة، إلا على عهد البويهين في مطلع القرن الرابع الهجري، فالبويهيين هم أول من أهتم بتشييد وتعمير أرض كربلاء المقدسة إلى جانب إهتمامهم الكبير بخلق حركة علمية فيها.

ومما زاد من تطور حركة العلم والمعرفة والفضيلة بمدينة كربلاء ومهد السبيل أمام ظهور أعرق وأقدم حوزة علمية للشيعة الإمامية على ارضها الطاهرة، هو بزوغ نجم عالم كبير وفقيه فحل فهوم، كان له دوره التاريخي في دفع مسيرة العلم أشواطا بعيدة إلى الأمام . وهذا العالم الكبير هو «حميد بن زياد بن حماد بن هواز الدهقان أبو القاسم النينوى» الذي إشتهر بغزارة علمه وكثرة تصانيفه وباعه الطويل في البحث والدرس والتحقيق والمناظرة الإستدلالية وسعيه وجهده الدؤوب في تربية جيل من العلماء والفقهاء.

وفي ضوء النشاطات العلمية والفقهية والتدريسية المكثفة التي قام بها حميد بن زياد النينوى من موقعه بمدينة كربلاء، يمكن القول أنه كان مؤسسا ومنشأ لنواة أولى حوزة علمية عريقة في كربلاء، لأن في زمانه ظهرت وبرزت نهضة علمية وحركة تدريسية تطورتا وتوسعتا وتواصلتا على مر القرون في ساحة كربلاء المقدسة.

ومن مؤشرات تواصل وإستمرار هذه النهضة العلمية جيلا بعد جيل، في أعقاب وفاة هذا العالم والفقيه المؤسس هو ظهور عالم عظيم وفقيه متبحر وأستاذ بارع فهّام هو عماد الدين محمد بن علي بن حمزة الطوسي المكنى بابن حمزة، والذي لعب دورا فاعلا ومؤثرا في تربية جيل من الفقهاء والعلماء مثلما خلف تركة علمية وفقهية غنية، فمن تصانيفه: الوسيلة، الواسطة، الرابع في الشرايع، مسائل في الفقه ومنتخب الدين.

تتلمذ إبن حمزة في بغداد على يد شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، فعندما أنهى دراسته في حوزته قفل راجعا إلى كربلاء، لما على ساحتها العلمية من جاذب شده إليها، بسبب أن عالم الدين لا جرم ينجذب لبيئة تناسب علمه، ولم تكن في هذا الوقت بعد بغداد والكاظمية على مقربة منها، بيئة علمية أخرى سوى مدينة كربلاء.

وفي هذا الوقت لم تكن مدينة النجف قد نشأت بعد، ولم تكن قد رأت النور، إذ لم يكن على أرضها الطاهرة المقدسة سوى قبر الإمام علي إبن أبي طالب عليه السلام ومبنى غير كبير مخصص لإستراحة زواره يقع على مقربة من القبر الشريف.

وعلى ضوء ما تقدم، نتوصل إلى حقيقة أن مدينة كربلاء كانت مؤهلة تماما لأن تضم في رحابها وبين ظهرانيها أولى وأعرق حوزة علمية للشيعة، فلها من آيات القدسية والبركة والكرامة والشرف، القسط الأوفر والنصيب الأكبر، خاصة أن تشكيلة الناس الذين سكنوها هي تشكيلة إجتماعية ذات إتجاه علمي وأدبي وديني قوي وإن نسبة كبيرة ممن قطنوها خلال القرون الأولى من نشأتها وتمصرها، هي من العلويين والسادة الموسويين الذين ينتسبون للأئمة الأطهار، والذين من المفترض فيهم أن ينهضوا لترسيخ دين وشرعة جدهم الأكبر النبي محمد ﷺ، ولتدعيم أسس الإمامة والولاية، الأمر الذي وفر جوا دينيا وروحيا متساميا في كربلا ، كان لا بد أن ينشأ ويترعرع في وسطه دعاة الدين والفضيلة، ومبلغو القيم الروحية.

وإلى جانب كل ذلك، كان الجاذب الحسيني يقوى ويشتد عقدا بعد عقد وجيلا بعد جيل، نظرا لأن العقليات والعراقيل والصعوبات التي كانت تقف في وجه حركة الهجرة المتزايدة بإتجاه مدينة كربلاء أو في وجه وفود الزائرين لمرقد الحسين عليه السلام أخذت تزول بالتدريج وذلك بسبب زوال الحكام الطغاة، الذين إتخذوا موقف العداء والحقد والكراهية إزاء حماة الحسين عليه السلام، وأنصاره وتبعيه وزائري قبره، وعشاق ملحمته التاريخية، بل وعلى العكس من ذلك بدأ بعض الملوك والأمراء والحكام يتبارون في التقرب لهذه الأرض الطاهرة، والتسارع لتشييد الروضة الحسينية وتوسيعها وتطويرها، والإسهام الفاعل في دفع عجلة العمران والنماء والإزدهار في مدينة كربلاء، إضافة لتسابقهم في تنشيط الحركة العلمية في ربوعها.

فمنذ مطلع القرن الرابع الهجري وبالتحديد منذ عهد البويهيين بدأت كربلاء تشهد مرحلة متميزة من حركة العمران والإزدهار، فيما تجدد بناء الروضة الحسينية كما جرت أعمال التعمير والتشييد للحائر الحسيني في عهد السلاجقة خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وجرت تعميرات وترميمات إضافة للروضة الشريفة في عهد الجلائريين، أما النقلة النوعية في عمران وتنمية كربلاء والمشهد الحسيني الشريف، فقد بدأت منذ عهد ملوك الأسرة الصفوية وإستمرت في فترات متعاقبة حتى العصر الحديث.

ومن منطلق ما جاء ذكره آنفا، فقد أخذت مدينة كربلاء تسير وفق منطق التاريخ، والمعطيات العلمية والمؤشرات الدينية، التي برزت على ساحتها بإتجاه أن تأخذ قصب السبق في أن تكون الحوزة الرائدة وأن تحظى بالمرتبة ألأولى بين الحوزات العلمية الرئيسة لعلماء الشيعة، ولم يكن حتى هذا الوقت قد ظهر ما يشير إلى مصطلح الحوزة، بل كانت هناك حلقات درس وبحث تعقد هنا وهناك، لكن ظهور هذا المصطلح وتبلوره ورواجه بين علماء الإمامية لم يتحقق إلا بظهور المؤسسة العلمية الدينية في النجف. بيد أن مهد العلم والمعرفة في هذه الحقبة الزمنية، كان في بغداد بوصفها عاصمة للخلفاء العباسيين ومركزا متألقا للعلم، لتوفرها على المدارس الكبيرة والمعاهد العلمية المتقدمة مثل: مدرسة المستنصرية التي كانت تقف في قمة المعاهد العلمية في ذاك الوقت.

ومن جملة العوامل الرئيسية التي دفعت لعلماء الشيعة لكي يتوجهوا إلى بغداد للدراسة وتحصيل العلم فيها -إضافة إلى جاذبيتها العلمية القوية- هو أن النواب الأربعة للإمام المهدي المنتظر آخر أئمة الشيعة عليه السلام، كانوا يقطنون فيها أو يترددون عليها من مدينة سامراء، حيث مقر الإمام الحسن العسكري وموقع إنطلاق المهدي المنتظر عليه السلام نحو غيبته الصغرى، ومن ثم إلى غيبته الكبرى التي إستمرت حتى يومنا هذا.

ولكن عندما توفى آخر نائب للإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف ، وحلت غيبته لكبرى كان لابد من ظهور علماء مجتهدين يتولون مهمة تسيير وتوضيح شؤون الناس الدينية والروحية، من منطلق إنهم نواب للإمام الغائب وبصورة غير مباشرة، وذلك تطبيقا لمقولة الإمام المهدي نفسه عجل الله فرجه الشريف و «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة ألله».

ومن هنا وكما اشرنا من قبل، لزم رجوع الناس إلى العلماء المجتهدين حتى يحين موعد ظهور الإمام الغائب عليه السلام بإذن ألله. فكان أن برز طلائع الفقهاء المجتهدين والمحدثين منهم رئيس المحدثين الشيخ (الصدوق) صاحب المؤلفات الكثيرة والمتوفى سنة ٣٨١ هـ ، ورئيس الملة أبو عبدالله محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) المتوفى سنة ٤١٣ هـ ، وذو المجدين علم الهدى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) صاحب كتاب «الشافي في ألإمامة» المتوفى سنة ٤٣٦ هـ، والعلامة الجليل أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان (الكراجكي) صاحب كتاب «كنز الفوائد» المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، وشيخ الطائفة عماد الشيعة أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (الطوسي) المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

كان مقر زعامة وحلقات دروس وأبحاث هؤلاء في بغداد أو على مقربة منها في الكاظمية، نظرا لأن التركة الدينية للنواب الأربعة للإمام المهدي الغائب عليه السلام كانت لا تزال تتفاعل في بغداد، فكان طبيعيا أن يكون ألأخلفُ قريبين من موقع هذه التركة. بيد أن مدينة بغداد تعرضت فيما بعد لسلسلة من حوادث الفوضى والإضطرابات والقلاقل والشغب من جانب الغزاة المغوليين والتتاريين مما سلب الأمن والطمأنينة من أهليها، وحينما يصبح زمام الأمن في بلد ما فلتانا وسائبا تنعدم معه الأرضية المناسبة لظهور وبروز القدرات الذاتية والإبداعات الفكرية، ذلك أن الجو المتوتر والمشبع بالهواجس والتوترات والتشنجات النفسية يفقد العقول هدوءها والنفوس طمأنينتها والأفكار نقاءها وبذلك تصبح الحالة غير مناسبة بالمرة، لأن تسير ألأمور وفق مجراها الطبيعي والعادي، خاصة إذا كانت هذه الأمور ترتبط بالعلم، حيث أن العلماء وطلاب العلم هم أحوج الناس لجو الأمن والإستقرار.

وبفعل الحوادث الدامية والأجواء المتشنجة والمتوترة على الساحة السياسية في مدينة بغداد، كان طبيعيا يهاجرها العلماء والفقهاء إلى مكان آمن يحظى في نفس الوقت بمظاهر القدسية وآيات التبرك والروحانية، بدليل أن علماء الدين في مسيرتهم العلمية والدراسية ينجذبون عادة إلى الأماكن المقدسة حيث البيئة والأجواء تناسب طبيعة العلم الذي يتلقونه كما ذكرت سابقا.

وكان منطقيا جدا أن يتوجه هؤلاء المهاجرون من بغداد إلى مدينة كربلاء، إذ ليس هناك من مدينة مقدسة أخرى تضاهيها في إزدهار العلم والفضيلة، ثم بفعل تكاثر هؤلاء العلماء وكثرة نشاطاتهم العلمية وتجمع التلامذة حولهم، كان لابد أن تبرز للوجود تلك الحوزة التي كان الشيعة وعلى رأسهم علماؤهم ألأفاضل، يتطلعون إليها منذ وقت طويل.

هكذا كان منطق التاريخ يقضي بأن تصبح كربلاء مقرا ومسرحا لأولى حوزة علمية على أوسع نطاق، وكانت قد وجدت فيها من قبل أي منذ حوالي قرن قبل هذا التاريخ، لكن منطق التاريخ شيء ومشيئة ألله شيء آخر.

فالتاريخ عادة يأخذ مساره الطبيعي بمقتضى الظروف السائدة والمؤثرات الجانبية، لكن هذا المسار العادي يتقطع في فواصل معينة فيصبح مساره عندئذ ذا منعطفات لوقوع حادث مفاجيء وغير مرصود وغير منظور بالمرة، وهنا تفرض المشيئة الإلهية نفسها، فتتجلى في حادث أو قرار شخص فيتغير مجرى التاريخ. إذ أن مشيئة ألله سبحانه وتعالى تبرز وتتجلى دائما في إطار حوادث ووقائع ومفاجئات خارجة عن الحساب والتخطيط، كما تبرز في إندفاعات ألأشخاص وقراراتهم الحاسمة والملهمة لهم بوحي باطني، فعندئذ تكون هذه الإندفاعات أو القرارات عاملا من عوامل صنع التاريخ، حيث تصبح للأشخاص أدوارهم في هذا الصنع، تبعا لذلك يصبحون اشخاصا تاريخيين بسبب انهم غيروا من مسار التاريخ في فاصلة معينة منه، فاوجدوا له منعطفا تناسب أهميته مع مدى أهمية الحدث أو الدور الذي أدوه.

وعلى كل حال، كانت بغداد مسرحا لقلاقل وإضطرابات دموية حينما أغار عليها السلاجقة بقيادة ملكهم ألأول طغرل بيك، وفي هذا الوقت كان العالم الجليل والفقيه الكبير الشيخ أبو جعفر محمد الطوسي يعقد حلقات درسه الزاخرة بالعلوم العقلية والنقلية في منطقة الكرخ على الجانب الآخر لضفاف نهر دجلة المار من وسط مدينة بغداد، وكان يجهد في تربية جيل متميز من الفقهاء الربانيين، وكان هو قد تتلمذ من قبل لدى زعيم المذهب الشيعي يومذاك شيخ ألأمة وعلم الشيعة أبي عبدالله محمد بن النعمان الشهير بالشيخ المفيد البغدادي، فكن يلازمه الظل، وعكف على ألإستفادة منه وادرك شيخه (أستاذ الشيخ المفيد) الحسين بن عبدالله إبن الغضائري المتوفى سنة ٤١١ هـ، وشارك النجاشي في جملة من مشايخه وبقي على إتصال بشيخه حتى إختار الله أستاذه لدار بقاءه في سنة ٤١٣ هـ، فانتقلت زعامة الدين ورئاسة المذهب إلى تلميذه المبرز علم الهدى السيد المرتضى، فانحاز إليه الشيخ الطوسي ولازم الحضور تحت منبره، وعنى به السيد المرتضى وبالغ في توجيهه وتلقينه، وبقي ملازما له طيلة ثلاث وعشرين سنة حتى توفى السيد المعظم علم الهدى سنة ٤٣٦ هـ ، فإستقل الشيخ الطوسي بالإمامة وتولى الرئاسة .

وقد نال الشيخ الطوسي مرتبة أعلم علماء دهره، وحاز على كرسي الكلام أو بالمصطلح الحديث «منصة المحاضرة»، والذي كان يجوز به من أثبت جدارته وأهليته لمرتبة أعلم العلماء على الإطلاق، وكانت له في ذات الوقت مكتبة عامرة تحتوي على أكثر من عشرة آلاف كتاب قيم جدا، والتي كانت قد أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي، كما كانت تحت تصرفه مكتبة أستاذه السيد المرتضى التي كانت تضم ثمانين الف كتاب.

ومن هنا، توفرت له مستلزمات زعيم ديني، وعالم كبير متتبع يشد إنتباه الجميع لشخصيته التاريخية، وينال محبة وتقدير جموع المسلمين، ويحظى بطاعتهم وإنقيادهم له، وكان لابد والحالة هذه أن لا يسلم من بطش وتنكيل السلاجقة، الذين إتخذوا من بغداد مسرحا سهلا لصولاتهم وجولاتهم، ويقتلون ويعتقلون، يهدمون ويحرقون، وقد أمر ملكهم طغرل بيك بهدم بيت الشيخ الطوسي وإحراق كرسي كلامه ومكتبته العامرة، ولكن قبل أن يصبح الشيخ نفسه عرضة لتنكيل هؤلاء الغزاة، قرر الهجرة من بغداد واللجوء إلى أرض النجف، وإلتماس الحماية والوقاية من الإمام علي عليه السلام حيث مرقده الطاهر الشريف يقع في زاوية من هذه الأرض، وكان لهذا القرار تأثيره المباشر في تغيير مجرى التاريخ، إذ تحول الإهتمام الأول والأكبر من كربلاء إلى النجف.

المصدر: شبكة كربلاء المقدسة